صنع السلام المسيحي

جون ستوت

أعلن يسوع أن أتباعه الذين يصنعون السلام هم أولاد الله، وينالون بركة الله أيضًا (مت٥: ٩) لأن صنع السلام هو وصية إلهية، وقد صنع الله السلام معنا وصنع السلام فيما بيننا بالمسيح.

فلا يمكن أن ندعي بأننا أولاد الله الحقيقيون ما لم نشارك في صنع السلام أيضًا.

فما هي المبادرات العملية التي يمكن أن نقوم بها لصنع السلام؟

أ- ينبغي على صناعي – "السلام المسيحي" أن يستردوا معنوياتهم:

ثمة اتجاهان في كنيسة اليوم يقوضان المعنويات المسيحية. ويجب أن نرفضهما كليهما بشدة. أولهما، الميل إلى اعتبار الرعب النووي أمرا تافهًا، أو الاعتياد على تصعيد توازن الرعب بصورة مطردة حتى نصل إلى فقد احساسنا بالاعتداء. ثمة أمثلة عن السهولة التي نذعن بها لإمكانة الحرب النووية قدمها في أبريل ١٩٨٢ روجر مولاندر الذي كان مسؤولاً استراتيجيًا نوويًا في البيت الأبيض وعضوًا في مجلس الأمن القومي. وهو الآن المدير التنفيذي لأرض الصفر، المشروع التربوي المخص للحرب النووية. فقد قال إنه إعتاد أن يغرز دبابيس مختلفة الألوان (تمثل أحجام الأسلحة المختلفة) في خريطة للإتحاد السوفيتي. فمثلًا، يمثل غرز دبوس قرنفلي في مدينة منسك موت ٢٠٠٬٠٠٠ آخرين. وقد ارتعب من ذلك زائر كان يراقبه. فأجاب هو موضحًا "ولكن عندما غرزت الدبوس في منسك أو موسكو لم أشاهد الناس يعملون أو الأطفال يلعبون. ولكنني أفترض شخصًا ما فوقي في المنظومة قد فكر في هذه الأمور. أما أنا: فقد غرزت الدبابيس فقط". ومثال روجر مولاندر الثاني يتعلق بضابط في البحرية قال: في اجتماع عقد في البنتاجون، لقد أصبح الناس قابلين للإثارة أكثر من اللازم "كما لو كانت الحرب النووية تعني نهاية العالم، بينما لن يقتل في الواقع سوى ٥٠٠ مليون شخص فقط"! فقط ٥٠٠ مليون شخص! ومضى ضابط البحرية قائلًا: فخلال جيل واحد "سوف تعمل الهندسة الوراثية على إعطاء الناس مناعة ضد الإشعاع). وختم روجر مولاندر "وعند هذا بحثت عن قبعتي مدركًا كيف شعر وودي آلن في رواية "آني هول" عندما اعتذر عن متابعة المحادثة قائلاً: إنه مضطر للعودة لأن لديه موعدًا على كوكب الأرض".

نحتاج بصورة مماثلة إلى مراقبة قاموس مفرادتنا. لقد أعطى روبرت و. جاردنر أمثلة عن "الأسلوب البلاغي المنمق" الذي نستخدمه لنقلل من رغب الحرب النووية. فالقذيفة التي تدمر ملايين الناس ولكنها تترك مخلفات قليلة تدعي "قنبلة نظيفة"، والأسلحة ذات التدمير الضخم يطلق عليها عبارات تصغيرية عاطفية وكأنهم يقولون: "لا تخف من القذائف النووية فهي بالحقيقة أشياء صغيرة جذابة لا تؤذي". أما بالنسبة لـ "المظلة النووية" فماذا يمكن أن يكون "أكثر

إيحاءً بعالم عادي يسوده السلام وتأخذ فيه الحياة مجراها من كلمة مظلة". ويمكن أن نضيف أيضًا "النادي النووي" لأن النادي عادة مكان تتوفر فيه الراحة والامتياز والصحبة المرحة، وليس رابطة من الأمم التي تشترك في تسمية واحدة وهي أنها تملك الأسلحة المهلكة.

أما الميل الثاني الذي يقوض المعنويات فهو التشاؤم في نظرتنا إلى المستقبل حتي أننا نسلّم بالمزاج العام وهو الشعور بالعجز. ولكن كلا الرأيين، اللا مبالاة والتشاؤم، ليس لائقًا بأتباع يسوع. إننا بحاجة لنستعيد إحساسنا بالسخط من تسارع سباق التسلح، ولنصمم على الانضمام إلى الآخرين في سعيهم لقلبه. وكما كتب الدكتور "دافيد أون" في مقدمته "للأمن المشترك"، وهو تقرير لجنة "بالم"، أن الحكومات تستجيب للمشاعر الشعبية ويمكن أن تتأثر، لا سيما إذا كان الضغط صادرًا عن رأي عام يستند إلى قاعدة عريضة".

ب – ينبغي على صانعي السلام المسيحي أن يُصلوا:

أرجو ألا ترفض هذا الحض باعتباره أمرا تقليديًا تقويًا لا يمت للواقع بصلة لأن المسيحيين المؤمنين لا يرونه هكذا. فبغض النظر عن الأساس المنطقي للصلاة وفعاليتها، فقد أمرنا بالقيام بها، وقد أمرنا ربنا يسوع بخاصة أن نصلي لأجل أعدائنا. وأكد لنا بولس أن واجبنا الأول عندما نجتمع كجماعة عابدة هو أن تصلي لأجل قادة أمتنا لكي "نحيا حياة هادئة ومطمئنة بكل تقوى وقداسة" (١تي٢: ٢). ومع ففي أيامنا وغالبًا ما تكون الصلاة الرعوية المرفوعة أثناء العبادة الجمهورية مختصرة وتعوزها الحماسة، والطلبات تافهة وضعيفة التخيل بحيث أنها تجري في حدود "التكرارات الباطلة"، والناس ينامون نومًا خفيفًا ويحلمون بدلًا من أن يصلوا". هناك حاجة عظيمة لأخذ فترة التشفع في العبادة الجمهورية مأخذ الجد، والصلاة لأجل الحكام والحكومات، لأجل السلام والعدل، لأجل الأصدقاء والأعداء، لأجل الحرية والاستقرار، لأجل النجاة الحريق النووي الهائل. إن الله الحي يسمع ويستجيب صلوات شعبة المخلصة.

ج– ينبغي على صانعي "السلام المسيحي" أن يضربوا مثلا بكونهم جماعة السلام:

إن دعوة الله لنا ليست أن "نكرز بالسلام" وأن "نصنع السلام" فحسب، بل أن نجسده أيضًا. إن قصد الله الذي يتحقق بواسطة عمل ابنه وروحه، هو أن يخلق مجتمعًا مصالحًا جديدًا لا يتسامح مع وجود ستائر أو جدران أو حواجز، وقد أبيدت منه التأثيرات التقسيمية التي تتم بناء على العرق والقومية والمرتبة والجنس. وهو يريد لكنيسته أن تكون العلامة المميزة الملكوته أي نموذجًا لما تبدو عليه الجماعة البشرية عندما تصبح تحت حكم البر والسلام فجماعة الملكوت الأصلية سوف تتحدى منظومة القيم في الجماعة الدنيوية وتقدم بديلًا قابلًا للتطبيق، إنه يصعب علينا أن ندعو العالم إلى السلام بينما تقصر الكنيسة على أن تكون الجماعة المصالحة التي قصدها الله، فإذا كانت المحبة تبدأ في البيت فكذلك المصالحة. تحتاج أن تطرح كل خبث وغضب ومرارة من الكنيسة ومن البيت، وتجعل كلاً منهما بدلًا من ذلك جماعة تسودها المحبة والفرح والسلام. إن تأثير مجتمعات السلام على قضية السلام لا يقدر بثمن.

د- ينبغي على صانعي "السلام المسيحي" أن يسهموا في بناء الثقة:

لقد جرى قدر كبير من الدراسة على الوقفات العدوانية التي يقفها الأفراد عندما يشعرون بأنهم عرضة للتهديد. وهناك حاجة لبحث مقارن في سلوك الدول عندما تتعرض للتهديد، أي لبحث يتناول سيكولوجية عدوان الأمة. نحتاج أن نسأل عما إذا كان السلوك العدواني في الاتحاد السوفيتي المتمثل في بناء ترسانة، هو جزئيًا بسبب شعوره بعدم الأمن، مثلما هو بسبب الأمبريالية فإذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن فعل شيء للتغلب على هذا السلوك؟

يلفت بعضهم الانتباه (ولهم الحق في ذلك) إلى الدليل الموضوعي على مطامح الاتحاد السوفيتي التوسعية التي يبدو أن قطاعات من حركة السلام تتجاهلها. كما تجاهلت حركة السلام في الثلاثينات هذا القرن الدليل على نوايا الفاشيين.

١- هناك التزام الاتحاد السوفيتي المعترف به علنًا بانتصار الماركسية - اللينينية في كل العالم . وقد تعهد القادة السوفيت على التوالي بتأييد "تماسك وازدهار منظومة العالم الاشتراكي" (يوري أندرو بوف).

٢- مثل هذه التعهدات ليست سوى تأكيدات علنية لما يسمى (مبدأ بريجنسكي)، الذي أدى إلى التدخلات الفظيعة في المجر (١٩٥٦) وتشيكوسلوفاكيا (١٩٦٨) وغزو افغانستان (١٩٧٩) وقمع "حركة التضامن"، في بولندا (١٩٨١). فهذه كلها إنما كانت سلسلة بشعة من التعديات.

٣- هناك تزايد في نفوذ الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط وأفريقيا (أي أنجولا وأثيوبيا) عن طريق الجنود الكوبيين والخبراء العسكريين الألمان الشرقيين، في كثير من الأحيان.

٤- بعد الحرب العالمية الثانية قامت المملكة المتحدة من جانب واحد وتبعتها أمريكا بتدمير مخزونهما من الغازات السامة وتفكيك مصانع هذه الغازات، ومع ذلك فإن الاتحاد السوفيتي لم يحذ حذوهما، ويعتقد بأنه يملك اليوم ٣٠٠٬٠٠٠ طن من الأسلحة الكيماوية.

٥- وفي عام ١٩٦٨ جمّد وزير الدفاع روبرت مكنامارا عدد القذائف الموجهة (التي تطلق من قواعد أرضية، والتي تطلق من الغواصات) عند الرقم ١٧١٠. وظلت عند هذا الحد حتى ١٩٨٠. لكن الاتحاد السوفيتي تجاوز هذا الرقم في عام ١٩٧٠، وفي عام ١٩٧٨ كان لديه ٢،٤٢٨ قذيفة موجهة (وهذا الرقم أعلى بكثير من الحد الأعلى الذي حددته معاهدة سولت ١) وهو الآن يسرع للحاق بالعدد الإجمالي للرؤوس النووية التي تملكها الولايات المتحدة. أما بالنسبة للقوة البشرية المحاربة فقد دأب الأمريكيون على تخفيضها من قمة كانت تتجاوز ثلاثة ملايين ونصف في عام ١٩٦٨ إلى مليونين تقريبًا في مطلع الثمانينات (بصورة رئيسية بسبب الانسحاب من فيتنام). أما الاتحاد

السوفيتي الذي لم يسرح أية جيوش بعد الحرب العالمية الثانية فقد بني قواته بصورة مطردة لتتجاوز كثير القمة الأمريكية لعام ١٩٦٨.

ويسأل سائل: هل يمكن إيجاد تفسير حقيقي لهذا التعاظم للقوة السوفيتية الذي استمر بصورة مطردة دون توقف، باعتبار أنه نوع من الخوف الوطني؟ البعض يظنون أنه يكن ذلك. وهم يعتقدون بأن الطريق التي اختارها الاتحاد السوفيتي للسيطرة على العالم هي بصورة أولية أيديولوجية وليست عسكرية، وذلك بتشجيع الثورات وليس بشن الحروب. ويضيفون أن اهتمام الاتحاد السوفيتي الرئيسي هو ضمان أمن حدوده الممثلة في أبعاد شاسعة، فيحيط به حلف شمال الأطلسي من الغرب والصين واليابان من الشرق. كما أن الأراضي الروسية تعرضت للغزو الأماني مرتين هذا القرن، وفي الحرب العالمية الثانية فقد الاتحاد السوفيتي عشرين مليونا من ابنائه. ف "التاريخ والجغرافية يتحدان لينتجها إحدى الحقائق الأساسية الملحة في سياسة الاتحاد السوفيتي العسكرية؛ لذلك فإن الاتحاد السوفيتي مصمم على ألا يخوض غمار حرب أخرى على أراضيه".

وأظن أنه، أيًا كان التفسير الصحيح، فيجب أن نوافق على أن كلا من القوتين العظميين ترى في الأخرى تهديدًا، ويجب أن نفعل أي شيء لنقلل من المجابهة بين هذه الشكوك والمخاوف المتبادلة. إن إحدى القطاعات الهامة "القانون الأخير" (١٩٧٥) لمؤتمر هلسنكي حول الأمن والتعاون الأوربي هو "وثيقة حول إجراءات بناء الثقة" وقد صممت لإزالة الخوف من الهجوم المباغت. ورغبة في إزالة أسباب التوتر وبناء الثقة، وبالتالي المساهمة بتقوية السلام والأمن في العالم، فإن الدول المشاركة تتفق فيما بينها على:

١- أن تقوم كل دولة بإعلام الأخرى قبل واحد وعشرين يومًا على الأقل من القيام بأي مناورات عسكرية كبرى أو تنقلات.

٢- تبادل المراقبين عند القيام بمثل هذه المناورات.

٣- زيادة التبادل في عدد الملحقين العسكريين. وفي اجتماعات هلسنكي التالية التي عقدت في مدريد ١٩٨١ و١٩٨٢ تم الاتفاق على عقد مؤتمر حول نزع التسلح والثقة واجراءات بناء الأمن في أوربا.

وغرضي من ذكر اجتماعات هلسنكي ومدريد هو لفت الانتباه ليس إلى فشل التنفيذ، وإنما إلى مفهوم إجراءات بناء الثقة الثمين. ففي أي وقت يشعر فيه الناس بالتهديد ينبغي أن تكون الاستجابة المسيحية في السعي لإزالة الخوف وبناء الثقة. وليس ثمة سبب يدعو لجعل اجراءات بناء الثقة قاصرة على الشؤون العسكرية خاصة، بل يجب أن تشمل التعاون في مجالات التجارة والصناعة والثقافة. ومعونات التنمية المقدمة إلى العالم الثالث. وهناك مجال للمبادرات المسيحية لبناء الثقة بطرق أخرى. وقد فهمت أن اللجنة المركزية للمينونيت Menonites وجماعة

الأصدقاء Friends تقومان بترتيبات التبادل الطلبة مع بلدان شرقي أوربا. وهناك مجال كبير لتوسيع هذه الترتيبات، وتستطيع وكالات السفر المسيحية أن تزيد عدد الفرق السياحية إلى الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية. لأن اللقاءات الشخصية تقضي على التشوهات المغالي فيها وتساعد الناس على اكتشاف بعضهم بعضًا، بل إنها أكثر أهمية التطوير الرابطة المسيحية عبر الستار الحديدي، بحيث يجد الأخوة والأخوات المسيحيون بعضهم بعضًا

هـ- ينبغي على صانعي "السلام المسيحي" أن يعززوا النقاش العام:

سوف تساهم حر كات السلام في الغرب في صنع السلام، إذا نجحت في إثارة مناقشة أعدت إعدادًا جيدًا. فهذا هو الوقت المناسب لإجراء مناقشات حديثة لأسئلة حديثة. هل تشكل الأسلحة النووية رادعًا بعد الآن؟ هل "الامتلاك أخلاقي، والاستعمال لا أخلاقي" موقف عقلي سليم أم أنه متناقض ذاتيًا؟ هل نحن محصورون بين خيارين، الردع النووي، والتصرف من جانب واحد، أم أن هناك "سياسات دفاعية بديلة"؟ هل سيساعد تعزيز الجيوش "التقليدية" على جعل تخفيض الترسانات النووية أكثر أمنًا؟ هل يمكن تبرير تأمين الدفاع القومي على حساب حياة ملايين المدنيين؟ أيهما أكثر أهمية في النهاية: النزاهة القومية أم الأمن القومي؟ مثل هذه الأسئلة وكثير غيرها تحتاج إلى الطرح والمناقشة.

إن من بين أهم المساهمات الحديثة في النقاش العام نشر "الأمن المشترك" وهو التقرير الذي أعدته لجنة بالم (التي كان من بين أعضائها قائد روسي هو جورجي أرباتوف وقائد بولندي)، ويمثل هذا التقرير بحثًا عن بديل للردع (الذي يقدم "حماية هشة جدًا" ضد الحرب) والتصرف من جانب واحد (الذي لم توص به اللجنة). وبدلًا من ذلك يحاول التقرير أن على أن الأمن (التحرر من حقيقة التهديد بالهجوم العسكري والاحتلال كليهما) "إنما يمكن الوصول إليه فقط بصورة مشتركة وبتعاون الطرفين فيما بينهما". وكما حاولت لجنة "براندت" أن تقدم الحجج لصالح التعاون الاقتصادي بين الشمال والجنوب، ليس على أسس أخلاقية بل لتأمين المنفعة المتبادلة، هكذا قدمت لجنة بالم الحجج لصالح الأمن الجماعي للشرق والغرب. وقد طور التقرير ستة مباديء للأمن المشترك:

١- لجميع الدول الحق الشرعي في التمتع بالأمن.

٢- إن القوة العسكرية ليست الأداة الشرعية لحل النزاعات بين الأمم.

٣- الكبح ضروري في وسائل التعبير عن السياسة القومية (رفضًا لمزايا التصرف من جانب واحد).

٤- لا يمكن تحقيق الأمن عن طريق التفوق العسكري.

٥- إن التخفيضات والتحديدات النوعية للقوات الحربية ضرورية للأمن المشترك.

٦– ينبغي تجنب الربط بين مفاوضات الأسلحة والأحداث السياسية.

وتطبيقًا لهذه المبادىء الأساسية تقترح اللجنة برنامجًا عريضًا، للتقدم الفعلي نحو تحديد متبادل للأسلحة ونزع تسلح قابلين للتحقق، يؤكد معاهدة سولت ٢ ويتجاوزها إلى إجراء تخفيضات رئيسية تؤدي إلى تكافؤ جوهري في مستويات أدنى وإنشاء منطقة عازلة في أوروبا مجردة من أسلحة الميدان النووية بإزالة جميع أسلحة الميدان النووية من منطقة عرضها ١٥٠ كم على كل جانب من جانبي الحدود، والاحتفاظ بعتبة نووية واضحة (فلا يجوز أن يكون التمييز بين الأسلحة التقليدية والأسلحة النووية غير واضح)، ويؤكد هذا البرنامج أيضًا على منطقة مجردة من الأسلحة الكيماوية في أوربا وعلى معاهدة يتم التفاوض بشأنها تحظر جميع التجارب النووية، ومعاهدة لنزع الأسلحة الكيماوية، والتزام عالمي المعاهدة عدم الأسلحة النووية، مع تأمين تحقق كاف يؤدي إلى تحسين الثقة المتبادلة وتقوية نظام الأمن للأمم المتحدة، وعقد مؤتمرات إقليمية حول الأمن، وإحداث مناطق سلام إقليمية. والتوصية الوحيدة من بين هذه التوصيات (وتوصيات أخرى) التي استحوذت على خيال الجمهور في الاقتراح بإزالة الأسلحة النووية من أوروبا – وهو ما دعاه الآخرون "فك الارتباط"، أي سحب جميع الجيوش والأسلحة النووية، التي تطلق من قواعد أرضية، من أوربا المركزية وفيما بعد من كل القارة.

كل مسيحي مدعو ليكون صانع سلام. فالتطويبات ليست مجموعة من ثمانية خيارات، بحث يختار بعضهم أن يكونوا ودعاء، ويختار البعض أن يكونوا رحماء، ويختار آخرون أن يكونوا صانعى سلام. فهي تشكل مجتمعة وصفًا لأعضاء ملكوته. صحيح أننا لن ننجح في توطيد يوتوبيا على الأرض، وصحيح أن ملكوت المسيح الذي هو ملكوت البر والسلام لن يصبح عالميًا في نطاق التاريخ، ولن تطبع السيوف سككًا والرماح مناجل حتى يأتي المسيح. ولكن هذه الحقيقة لا تعطي مسوغًا محتملًا للإكثار من المعامل التي تصنع السيوف والرماح. فهل تمنعنا نبؤة المسيح عن الجوع من السعي إلى توزيع للغذاء أكثر إنصافًا؟ وكذلك لن تمنعنا نبؤته عن الحروب من السعي وراء السلام، إن الله صانع سلام. ويسوع المسيح صانع سلام. فإذا أردنا أن نكون أولاد الله وجب أن نكون صانعي سلام.

المسيحية والقضايا المعاصرة